مجلة الاستيعاب
Issn : 2661-7625 Eissn : 2773-3947
المجلد: 03 / العدد: 03 ص 22– 38

موقف رواد النهضة العربية من التراث العربي الإسلامي خلال القرن 19 م

The position of the pioneers of the Arab Renaissance on the Arab-Islamic heritage during the 19th century.

سعيد فرج[1]، محمد بوطيبي[2]

[1] جامعة يحي فارس – المدية، مخبر الدراسات التاريخية والمتوسطية عبر العصور (الجزائر)،

said@univ-medea.dz.feredj

[2] جامعة يحي فارس – المدية، (الجزائر)،

med@hotmail.com.bt

تاريخ الاستلام: 2021/07/04 تاريخ القبول: 202/10/14 تاريخ النشر: 202/11/11

ملخص:

ظل العالم العربي محافظا على نمطية العصور الوسطى خلال العصر الحديث، إلا أن استيقظ على حدث الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798 م هـ 1213 هـ، هذه الحملة أبانت مقدار التقدم الحاصل في أوروبا، ومقدار التخلف الذي يعيشه العالم العربي، ولتدارك الأمر ظهر خلال القرن 19 م في العالم العربي مجموعة من المفكرين والعلماء والأدباء الذين أخذوا على عاتقهم مهمة البحث في المشاكل وإيجاد الحلول المناسبة، كانت أول مسألة تطرقوا إليها هي كيف نتعامل مع التراث ؟ .

انقسمت المواقف والرؤى حول هذه المسألة إلى ثلاث مواقف رئيسية، بين من يرى ضرورة التمسك التام بالتراث دون تغير أو تعديل كونه ضمن الصلاح والتمكين للسلف وبتالي يضمن كذلك الصلاح للخلف، وبين من يرى ضرورة الانفصال عن التراث وتبني النموذج الغربي كونه نجح في النهوض بأوروبا، وتيار ثالث اتخذا موقفا وسطا بين التيارين السابقين حيث دعا للحفاظ على صحيح ونافع التراث مع التفتح على النموذج الغربي، وهذا ما سنحاول التطرق إليه في بحثنا مواقف رواد النهضة العربية خلال القرن 19 م من التراث، والحلول التي قدمها كل تيار .

كلمات مفتاحية: التراث، القرن 19، رواد النهضة العربية، الحضارة الأوروبية .

Abstract:

During the Modern era, the Arab world continued to maintain the stereotype of the Middle Ages ,but the event of the French campaign against Egypt in 1798 Ah 1213 made it change, this campaign showed the amount of progress made in Europe, the amount of underdevelopment experienced by the Arab world.During the 19th century, a group of thinkers, scholars and writers appeared in the Arab world who took upon themselves the task of researching problems and finding appropriate solutions for progress, as happened in the Europe.The first issue they addressed was how we deal with Heritage?.

The positions and visions on this issue were divided into three main positions,between those who see the necessity of fully adhering to the heritage without changing or modifying that it is within the righteousness and empowerment of the predecessor and thus also guarantees the righteousness of the and between those who see the necessity of successor, separating from heritage and adopting the Western model, as it succeeded in advancing Europe ,and a third current that took a as it called for preserving the true and middle position, beneficial heritage while opening up to the Western model, and this is what we will try to study in our research, the positions of the pioneers of the Arab Renaissance during The 19th century AD from the heritage, and the solutions presented by each current.

Keywords: Heritage; 19th century; pioneers of the Arab Renaissance; European civilization.

JEL Classification Codes: …, …, …

1) **المؤلف المرسل**: سعيد فرج، feredj.said@univ-medea.dz

2) محمد بوطيبي، bt.med@hotmail.com

1. مقدمة:

عرفت الأمة العربية الإسلامية أوج قوتها في العصور الأولى للإسلام، بحيث أنها قادت الأمة و الإنسانية جمعاء للتطور والتمدن، لكن مع مرور الزمن أُلصقت العديد من المفاهيم الخاطئة والممارسات التي لا تمت للإسلام وللقيم العربية بصلة، هذا ما أدى إلى انتشار مظاهر التخلف والتقهقر، ظهر هذا التخلف جليا مع العصور الحديثة التي تفوقت فيها أوروبا في شتى المجالات وكانت الحملة الفرنسية سنة 1798 م على مصر هي النقطة التي أفاضت الكأس، وأيقظت الأمة لترى حالة التخلف التي تقبع فيها، ولتدارك الوضع أخذ المفكرون والعلماء في البحث عن أسباب التخلف وإيجاد البدائل المناسبة للحاق بالركب الحضاري التي قطعت أوروبا فيه شوطا كبيراً فكان أول مسألة واجهتهم هي كيف نتعامل مع تراث السلف؟ .

انقسمت الآراء حول هذه المسألة إلى ثلاث مواقف، بين من يرى ضرورة الانطلاق من التراث والتشبث التام به كونه الوسيلة التي استطاع من خلالها السلف قيادة الإنسانية جمعاء و وتقديم أفضل الانجازات الحضارية للبشرية وبتالي وجب الاتباع والسير في نفس الخط دون تغير أو تبديل وبين من يرى أن هذه المفاهيم التي ورثها الخلف عن السلف تجاوزها الزمن ولم تعد قادرة على مواكبة ومسايرة التطور الحاصل في العصر الحاضر، وبتالي لابد من انتهاج أسلوب النموذج الغربي من أجل تحقيق الأفضل للأمة، وذلك بالانفصال عن التراث وقطع الحبال به والدخول في الأزمنة الحديثة كما برز تيار وسط بين التياريين يدعو من جهة للرجوع إلى منابع الإسلام الأولى والقيم العربية الأولى مع ضرورة الاستفادة من مختلف منجزات الحضارة الأوروبية فيها يعود بالنفع على الأمة بشرط احترام خصوصيتها وذاتها .

ومن هذا المنطلق حاولنا في بحثنا هذا تسليط الضوء على موقف أبرز رواد النهضة العربية من التراث خلال القرن 19 م .

تشير جميع القرائن إلى أن قضية التراث هي من القضايا الجوهرية والرئيسية التي تهم مفكري الإسلام وان هذه القضية لم توضع في موضعها الصحيح، وهذا ما يجعلها مصدر قلق وهاجس للأمة العربية و الإسلامية، وقد تصبح مصدر قلق وحيرة دائمة للأجيال المستقبلية، وذلك بسبب أن هذا التراث مرتبط بماضي مقدس عند المسلمين وهذا ما يزيد في صعوبة التعامل معه وخاصة إذا ربطنا التراث بالماضي الذي كانت سمته الغالبة هي قدسية الدين الإسلامي وتعاليمه، السبب الثاني هو أن هذا التراث ملتحم بحاضر متخلف بعد أن أُلصقت العديد من المفاهيم الخاطئة به ، ونحن قبل هذا الحاضر المتخلف شَكلنا التراث تاريخيا، وصاغ كتاباتنا على هذا النحو أو ذاك فأصبحنا به أحرارا وله عبيدا، وما من خطوة نخطوها إلا ويُفرض علينا موقفنا من التراث بشكل صريح أو ضمني (جدعان، 1988 م ، صفحة 562) .

وقبل التطرق لمواقف رواد النهضة العربية ومفكري الإسلام من التراث وجب علينا تسليط الضوء على ماهية هذا التراث، ففي المعاجم العربية كلمة تراث مأخوذة من وَرِثَ، وأن التاء فيها مبدلة من الواو فالعرب يقولون وَرِثتُ الشيء من أبي أرثه – بالكسر فيهما – وِراثة وإرثاً ، ويُسوي أبن الأعرابي بين كلمة تراث وبقية الأسماء المشتقة من هذه المادة، فيقول : الوِرْث الوَرْثُ والإرث والْوَارَث والإراث والتراثّ واحد ، ويقول ابن سيده الورث والإرث والتراث والمراث : ما وُرِثَ، وقيل الوُرْث والميراث في المال، والإرث في الحسب، وعلى ما يبدو فإنه لم يقع خلاف في أن التراث هو مايُخلفه الرجل لورثته، (دياب، 1993 م ، صفحة 12) .

لاشك أن التراث هو كل ما ورثناه تاريخيا عن الأصول والماضي، وأنه وعي التاريخ وحضوره الشعوري في ضمير أبنائه فرديا وجماعيا، قد تتعدد التعريفات والحدود لكن الإحصاء الشامل لمادته هو الذي يسمح بتحديد طبيعته وبيان السمة الإنسانية التاريخية الزمانية له ، وما التراث إلا تجسيد تاريخي لعلم الإنسان وصنعه وفعله، إذ العلوم والمصنوعات والقيم الأخلاقية والجمالية هي الوجوه الرئيسية للتراث، وهي العناصر التي يورثها الإنسان للإنسان في الزمان وفي المكان، (جدعان، 1988 م ، صفحة 562)،

والـتراث الـذي نعنيـه في بحثنـا هـذا هـو مـا خلفتـه أجيـال مـن العـرب في ألـوف الكتـب والرسـائل، أو هـي تلـك الآثـار المكتوبـة الموروثـة الـتي حفظهـا لنـا التـاريخ كاملـة أم مبتـورة فوصـلت إلينـا في شـكل كتـب مخطوطـة أو لفـائف أو كراسـات وليسـت هنالـك حـدود معينـة لتـاريخ أي تـراث فكـل مـا خلفـه المؤلـف أو الإنسـان بعـد حياتـه مـن نتـاج يعـد تراثـاً فكريـاً، (دياب، 1993 م ، صفحة 12) .

ظهـرت مسـألة كيفيـة التعامـل مـع الـتراث العـربي الإسـلامي خـلال القـرن 19 م بقـوة، وشـكلت مسـألة أُختلفـت فيهـا المواقـف ووجهـات النظـر، وقبـل التطـرق لهـذه المواقـف لابـد أن نشـير أن سـبب ظهـور هـذه المسـألة بقـوة يعـود بدرجـة كبـيرة إلى الحملـة الفرنسـية علـى مصـر سـنة 1798 م، أيـن اكتشـف المسـلمون مـا وصـلت إليـه أوروبـا مـن تطـور في مختلـف مجـالات الحيـاة، وأدركـوا حينهـا أن الركـب الحضـاري الأوربي قـد قطـع أشـواطا كبـيرة في سـبيل التقـدم، بينمـا هـم لا يزالـون يحـافظون علـى نمطيـتهم التقليديـة في مختلـف مجـالات الحيـاة، باسـتثناء جانـب العقيـدة القـرآن الكـريم وصـحيح السـنة النبويـة الصـالحة لكـل زمـان ومكـان، أقـول في هـذا الظـرف الـذي كانـت السـمة الغالبـة فيهـا هـي التخلـف أخـذ بعـض المفكـرين والعلمـاء علـى عـاتقهم مهمـة النهـوض بالعـالم الإسـلامي، وكانـت أول مـا كـان عليهـم ضـبطه هـو مـن أيـن نبـدأ وكيـف السـبيل للتعامـل مـع المعطـى التـاريخي بمـا فيـه مـن خصـائص، وحـين رصـد مختلـف المواقـف والـرؤى لـرواد النهضـة العربيـة خـلال القـرن 19 م نجـدها تنقسـم إلى ثـلاث مواقف رئيسية وهي :

2. موقف رواد التيار المحافظ (التقليدي) من التراث

انطلـق رواد هـذا التيـار مـن مبـدأ، أن حـال هـذه الأمـة لا يصـلح إلا بمـا صـلح أولهـا، وأن تـراث السـلف هـو أفضـل وسـيلة للحفـاظ علـى الـذات العربيـة الإسـلامية، وفي نفـس الوقـت أفضـل وسـيلة لتقـدمها ورقيهـا، لأن المسـلمين بهـذا الـتراث اسـتطاعوا سـيادة الأمـم، وضـربوا أحسـن نمـوذج للحضـارة الإنسـانية الراقيـة، وأن أي قصـد لاسـتبدال هـذا المعطـى وهـذا الإرث مـا هـو إلا تجربـة فاشـلة، لـذلك تعلـق هـذا التيـار بـالتراث والسـلف تعلقـا كبـير، وأظهـر

سخطه على أغلال الأزمنة الحديثة وظلالها، و في العداء الصريح لأحوال التغير في الأفكار والقيم والعلاقات والأشياء، (جدعان، 1988 م ، صفحة 558)،

من بين أهم دعاة هذا التيار نجد مؤسسات العلم والتعليم الموروثة مثل الأزهر ومن سار على نهجه من المدارس والجامعات، الطرق الصوفية تنظيماتها ومشيخاتها المتعددة، النصوصيون الذين وقفوا عند ظواهر النصوص ودلالاتها، عازلين إياها عن ملابساتها وعن مقاصد الشريعة والتشريع المبتغاة من هذه النصوص، (عمارة، د.ت، صفحة 59)، بالإضافة إلى بعض الدعوات الدينية التي كانت امتدادا لدعوات دينية سبقتها، ومنها خاصة دعوة محمد ابن عبد الوهاب، ودعوة الآلوسي الكبير في العراق والذي دعا إلى تنقية الدين الإسلامي من الشوائب التي لحقت به جراء الفهم الخاطئ للدين من طرف المسلمين، وأكد على ضرورة اتباع السلف في مسائل العقيدة، كي لا يظلوا كما ظل من قبلهم وسار في هذا النهج، في التأويل والاجتهاد دون اتباع السلف (الحافظة، 1978 م ، الصفحات 51 - 52) ، حيث كانت من أكبر المسائل التي اهتم بها تركزت في الدعوة للرجوع إلى منابع الإسلام الأولى وتنقيته من مختلف الشوائب التي ألصقت به .

مما يعاب على رواد هذا التيار هو أنهم لم يفصلوا بين الإسلام من حيث هو دين وعقيدة ومابين الإسلام من حيث هو تراث، وكان الأولى والأجدر أن لا يضعوا التراث في مرتبة العقيدة، لأن العقيدة ليست من التراث لأنها ليست منجزات بشرية، وإنما معطيات إلآهية، وأصلها أمران أساسيان وهما القرآن الكريم وما صح من الأحاديث النبوية، وكان عليهم الاعتراف بأن التراث ليس سوى منجزات زمنية تاريخية ترتبط بصانيعها من السلف ولا تقيد أحد من الخلف، فمثلا علم الكلام، الفقه، أصول الفقه، الفلسفة،التصوف، ليست سوى منجزات إسلامية وعربية صنعتها أجيال تاريخية معينة في ظروف معينة وورثتها لمن بعدها، ولا تلزمها على من بعده ولكن تدخل في التاريخ الثقافي العام للأمة، (جدعان، 1988 م ، صفحة 563) .

والشيء الثاني الذي أُعيب به هذا التيار هو انصبابهم على التقليد الأعمى للمتقدمين من السلف دون تمحيص ولا نقد، وخاصة أن العالم العربي والإسلامي قد

عرف في فترة معينة من الزمن في العصور الوسطى شيوع ظاهرة الاهتمام بالجمع والتصنيف والتدوين دون الاعتماد على العقل والاجتهاد، بحيث وصفها بعض الباحثين والعلماء بأنها من أصعب الفترات التي عاشتها الأمة العربية الإسلامية، (عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، 1997 م، صفحة 297)، بل حتى العقيدة أصبحت مبنية على ما نقله هؤلاء من الكتب والمصنفات دون نظر ولا تحقيق هذا ما أدى إلى انتشار العقائد المنحرفة والبدع والخرافات التي كبلت فكر المسلم، كما شاع بين الناس من الأقوال وموضوعات الأحاديث ما يندى له الجبين، (عبده م.، 2012 م، الصفحات 117 - 118) .

إن تحصن هذا التيار بالماضي ورفضه لكل التغيرات التي طرأت في الساحة حاضراً، جعله منطوي على نفسه وعاجزا عن صياغة الخيار الحضاري والنموذج التجديدي القادر عل منافسة النموذج الغربي، بل وترك المجال مفتوحا للنخبة التي صنعها الاستعمار في مؤسساته الفكرية ووفق مناهجه التي تخدمه، وهذا ما تسبب فيما بعد في الاستيلاب الحضاري، هذا لا يعني أن هذا التيار كان وبالا على الأمة فقط لم يقدم لها إلا ما هو سلبي، وإنما كان له أيضا الفضل الكبير في الحفاظ على التراث الأمة وحماية هويتها من أخطار النموذج الغربي الذي أراد استحواذها واحتوائها هذا من جهة ومن جهة أخرى شكل الأرضية التي انطلق منها التيار التوفيقي (الإزدواجي) في إحيائه للتراث وتجديده كوسيلة مثلى للتعامل والاستفادة من التراث، (عمارة، د.ت، الصفحات 58-62) .

3. موقف رواد التيار التغريبي من التراث

بدأت البذرة الأولى لهذا التيار مع الحملة الفرنسية على مصر سنة 1798م / 1213هـ حينما شاهد المسلمون مقدار التقدم الذي وصلت إليه أوروبا في مختلف المجالات، فكانت هذه بداية نقطة الانفصال عن الموروث وقطع حبال التواصل عن المحيط العربي والإسلامي، واستبدال مفهوم الوطنية القطرية بدل الجامعة الإسلامية، وأعلن خلالها رواد هذا التيار الذي كان من بينهم فارس نمر ، عن رغبتهم في تبني النموذج الغربي كوسيلة للرقي والتقدم الذي يفتقده الشرق، وعملوا بكل الوسائل لتحقيق ذلك بعد أن

تيقنوا انه لا سبيل للتخلص من عراقيل الموروث الحضاري العربي والإسلامي الذي ظل يقف عثرة في طريقهم إلا بالدفاع عن هذا المبدأ، (عمارة، د.ت، الصفحات 62-65)
.

لم يرتبط هذا التيار بشخصية معينة وإنما مثله العديد من الشخصيات وفي شتى المجالات، من بينهم أيضا يعقوب صروف، شبلي شميل، جورجي زيدان، فرح أنطوان ، عمل هؤلاء على التبشير بالثقافة الغربية من أجل إزاحة الثقافة العربية الإسلامية التي جعلوا منها سبب في تخلف العقل الشرقي وبقائه على النمط التقليدي الكلاسيكي مؤكدين في نفس الوقت أنه لا يمكن للعقل الشرقي ، أن يخرج من هذه القوقعة ألا بتبني النموذج الغربي جزئياته وكلياته، حلوه ومره، (عمارة، د.ت، صفحة 69) .

رد رواد هذا التيار على آراء ومواقف رواد التيار المحافظ بحجة أن الإنسان لم ينتهي أمره عند الحدود التي انتهى إليها في العصور الوسطى التي مضت، وأنه من الضروري تفجير طاقاته وقدراته الكامنة المبدعة من اجل تحقيق انجازاته والوصول إلا ما عجز عنه الأسلاف من منجزات، وهذا لا يتأتى إلا بالتحرر من قيود الماضي، (جدعان، 1988 م ، صفحة 558،559)، لقد حاول هذا التيار بدعوته هذه التشكيك والانتقاص من قدر التاريخ العربي الإسلامي واللغة العربية والإسلام والتغافل عن فضل العرب والمسلمين وما قدموه للحضارة الإنسانية، يوم كان المسلمين هم قادة العالم، والانتقاص من عظمة رجال الإسلام و أعلامهم، والإعلاء من شأن القيم والمفاهيم الغربية في محاولة لفرض هذه القيم الوافدة على القيم العربية الإسلامية، (المعاليقي، د.ت، صفحة 124) .

لقد ظهر هذا التيار بقوة في بلاد الشام ومصر خاصة، نظرا لتأثرهم المباشر بالفكر الغربي واطلاعهم على مبادئ الثورة الفرنسية، كان من بين أهم الدعاوي التي نادت بها هي فصل سلطة الدين عن سلطة الدولة الزمنية، فنجد ان طه حسين قد تأثر بهذا المبدأ ونادى به، لذلك انتفض في وجه دستور الدولة المصرية، وأعلن ضرورة فصل الدين عن الدولة، لأن الدين حسب رأيه مرتبط بالعاطفة والخيال وان العلم يرتبط بالعقل والمنطق،

وأن الدين جامد، لدرجة أنه أرد نقد القرآن الكريم مع طلابه بوصفه كتابا أدبيا، (المعاليقي، د.ت، صفحة 276) .

إن هذا الموقف الذي اتخذه طه حسين وغيره كثير من رواد هذا التيار في تعاملهم مع مقومات الأمة العربية الإسلامية وتراثها ينم عن الاستيلاب والانسلاخ اللامحدود في اعتناق الثقافة الغربية، وهو ناتج عن التعظيم المبالغ فيه للحضارة الأوروبية ومنجزاتها، واحتقار النفس أو الذات لذلك كان هؤلاء هم منافذ دخول الأعداء للأمة، (الأفغاني و محمد، 2012 م) ، ويرجع بعض الدارسين سبب تمكن وتغلغل بعض مبادئ هذا التيار إلى الأمة إلى عديد الوسائل منها، النفوذ الاستعماري الذي فرض نفسه كنموذج عالمي حضاري جديد يقوم على مقومات لم تكن موجودة من قبل في النماذج الحضارية السابقة، مثل التنظيم العقلاني لشؤون الاقتصاد، وأجهزة الدولة واعتماد العلم والصناعة، والتبشير بقيم جديدة مثل قيم الحرية والديمقراطية، والعدالة الاجتماعية وفرض نفسه عن طريق التبادل التجاري الغير المتكافئ، إلى غير ذلك من الوسائل التي تسربت من خلالها هذه القيم الغربية، (الجابري، 1990 م ، صفحة 17).

كما استخدم هذا التيار المقياس المزدوج القائم على مستويين، الأول يتعلق بالممارسة اليومية والثاني بالمبدأ والعقيدة، وَاستُخدم هذا المقياس أكثر عند العلمانيون من المتعلمين المسيحيين كسلاح للتخلص من قيود المدرسة التقليدية التي أفشلت جميع مشاريعهم التي كانت تهدف للانسلاخ من الماضي وتبني الحاضر الذي رسمت الحضارة الغربية صورته، (شرابي، 1981 م ، صفحة 44)، إلا أن هذا التيار رغم بعض التأثير الذي صنعه في بين أفراد الأمة العربية الإسلامية ونخبها وجد نفسه غريبا ومعزولا حينما اتخذ العلمانية الجذرية كدعامة ومنطق لدعوته النهضوية، وبتالي فقد شرعيته لدى غالبية المسلمين الذين صنفوه في معسكر الأنظمة السياسية المدعومة من الغرب، (جدعان، 1988 م ، صفحة 564) .

كان من بين أنصار هذا التوجه في التعامل مع التراث هم دعاة القومية الذين ركزوا في في تعاملهم مع التراث على اللغة العربية واعتبروها هي الجامع الذي يجمع الأمة ويحقق

لها نهضتها ويحفظ لها كينونتها ووجودها، كان من بين أبرز دعاتها ساطع الحصري الذي أكد على أن اللغة هي روح الأمة، وأن التاريخ هو ذاكرة الأمة (التوبة، 1423 هـ/ 202 م ، صفحة 57)، قد يختلف معنا البعض في إدراج دعاة القومية العربية مع التيار التغريبي بحجة أن هذا هذا التيار كان يدعو للحفاظ على هوية الأمة العربية ويتعامل مع موروثها بمنطلق الحفاظ والدعوة إليه لمن حسب رأينا فإن هذا التيار استلهم فكرة القومية من مخرجات الفكر الأوروبي الذي يرى في عنصر اللغة هو العنصر القادر على جمع كلمة العرب والسير بهم نحو التقدم الرقي دون اشتراط عنصر الدين الإسلامي، وهم شابهوا في هذا المفكرين الأوروبيين الذي اعتمدوا عليها في العصور الحديثة للخروج من سيطرة الكنيسة أو السلطة الدينية التي كانت تستغل الدين في تحقيق مصالحها الخاصة، وما صكوك الغفران إلا أكبر دليل على ذلك، أقول أن دعاة القومية العربية تبنوا نفس فكرة القومية التي أيدها ودعا إليها الأوروبيين .

هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هذا التيار كان من أكبر دعاته هم الأقلية المسيحية التي كانت تتوق للإرتماء في أحضان الحضارة الأم وبتالي وجدوا في هذه الدعوة سبيل ذلك وليس رغبتهم في خدمة الأمة العربية كما أن الإسلام يرفض ويحذر من كل النزعات والنعرات العرقية التي تفرق أكثر مما تجمع وأن رابطة الدين الإسلامي هي الحل والمنهج الذي يجمع الأمة ويضمن لها التقدم والرقي، وعلى هذا الأساس صنفنا دعاة التيار القومي العربي ضمن التيار التغريبي .

وقع هذا التيار في غربة في وسط المجتمع العربي والإسلامي بعدما اتخذ من العلمانية دعامة ومنطلق في تعامله مع التراث، وبتالي فقد شرعيته وأصبح في نظر العامة محسوبا على الأنظمة السياسية المحسوبة على الغرب كونها تبنت نفس الفكر ونفس الإيديولوجية، (جدعان، 1988 م ، صفحة 564) .

من خلال ما سبق التطرق إليه حول هذا التيار نستنتج أنه كان نتاج ثلاث عوامل رئيسية هي الاصطدام الحضاري بين الأمة العربية الإسلامية بالحضارة الأوروبية وما وصلت إليه من تطورات أثناء الحملة الفرنسية على مصر، العامل الثاني هو النخبة التي تولدت

على إثر هذا الاصطدام سواء التي تأثرت بطريقة غير مباشرة بعد انبهارها بمنجزات الحضارة الأوروبية، أو تلك التي أرسلت في شكل بعثات علمية إلى أوروبا، ولما عادت حاولت فرض النموذج الذي عايشته هناك في أوروبا على الأمة، والعامل الثالث وهو الرئيسي تمثل في دور المسيحيين العرب الذي وجدوا في هذا الجدل القائم بين المسلمين حول قضية التحديث الفرصة الملائمة لتحرر من قيود الإرث الحضاري العربي الإسلامي الذي كان دائما ما يعرقل أي مشروع يهدف لتبني قيم ومبادئ الحضارة الغربية الأم بالنسبة لهم، أما عن درجة التأثير فنجد البيئة المسيحية القاطنة في الأرض العربية نالت حصة الأسد من تبني هذا المشروع التغريبي، كما انتشر في بعض أوساط العرب المسلمين سواءاً العامة أو النخبة ولو أن النخبة كانت الأكبر تأثرا كونها حاولت إيجاد طريق لنهضة العالم العربي الإسلامي، إلا أن بعضها ظل الطريق بسبب الاستيلاب الحضاري، هذا التيار إن بقى موجود على الساحة إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً في إقناع الأمة بمشروعه بسبب تصدي التيار المحافظ والتوفيقي لدعوته والتنبيه من خطرها .

4. موقف رواد التيار التوفيقي من التراث :

انتهج رواد هذا التيار نهجا وسطا بين التيارين السابقين، فقد انطلق من مبادئ الإسلام النقية المتمثلة القرآن الكريم والسنة النبوية وثوابت التراث العربي الإسلامي التي مثلت سمات الهوية التاريخية والحضارية للأمة، والتي حفظت لأجيالها تواصلها الحضاري ووحدتها الكاملة عبر الزمان والمكان، هذا من جهة ومن جهة أخرى لم تقف عند الدين الإسلامي النقي والتراث العربي الإسلامي الذي خلفه السلف وإنما دعا رواده للاستفادة من كل منجزات العقل البشري في مختلف الحضارات بشرط عدم مخالفته لتعاليم الدين الإسلامي، وبشرط تحقق عنصر النفع على الأمة، وبتالي فان هذا التيار لم يكن يريد القطيعة مع التراث ولكن يريد تجاوز المتخلف منه، ولا يريد قطع علاقته مع الآخرين وإنما احترام خصوصية كل حضارة، (عمارة، د.ت، صفحة 71 72) .

من بين أبرز رواد هذا التيار جمال الدين الأفغاني، الذي جمع مابين آراء المصلحين السلفيين أو المحافظين ومابين آراء المصلحين الاجتماعيين المحدثين، فقد كان يدعو للرجوع

إلى نقاوة الإسلام الأولى التي تضمن تحرير العقل ووحدة الشعوب الإسلامية وتحرير الفكر الديني من قيود التقليد وفتح باب الاجتهاد، وضرورة التوفيق ما بين العلم والإيمان، وأن لا تناقض ولا اعتراض مابين الدين والحقيقة العلمية، أما فيما يخص موقفه من التيار التغريبي فقد رفض التقليد الأعمى للغرب في مختلف مجالات الحياة، مع الدعوة الصريحة لضرورة الاطلاع على التيارات الفكرية الحديثة وأخذ كل ما يعود بالنفع على المسلمين ما لم يتعارض مع عقيدتهم، (الحافظة، 1978 م ، الصفحات 73 - 76) .

أما عبد الرحمان الكواكبي، فقد انتقد التيار المحافظ الذي صب كل اهتمامه بالماضي وبالنمطية الكلاسيكية في العلم والتعليم، حيث أنهم أهملوا العلوم الدنيوية مثل علوم الرياضيات والطبيعة لجهلهم بفائدتها وأهميتها بل صار المتطلع إليها يُفسق ويُرمى بالزندقة والزيغ، ولما رأى المسلمون ثمار هذه العلوم في الغرب أصبحوا في أمس الحاجة إليها وعرفوا قيمتها، كما أكد عبد الرحمان الكواكبي على ذم التقليد الأعمى للسلف دون استعمال النقد والتمحيص، وأن كل كلام السلف ما عدا كلام الله ورسوله هو قابل للأخذ والرد على حسب صحته، (الكواكبي، 1931 م ، الصفحات 47 - 105) .

أما الأستاذ محمد عبده، فقد دعا إلى تغيير النمط الكلاسيكي للعلوم والمناهج في الأزهر الذي كان من أكبر مراكز إنتاج النخب المحافظة التقليدية التي بقيت متقوقعة على النمطية الكلاسيكية في الأزهر علوماً ومناهجاً وتعمل بحرص على تخريج طلبة ونخب تسير وفق هذا النهج، وبدعوته لإدخال العلوم الحديثة ومناهج جديدة أثبتت نجاعتها في الدولة الغربية كان يهدف من خلالها إلى إضافة إطلالة عقلانية على صفحات التراث المشرقة هذا الموقف جعل مشايخ الأزهر تعلن العداء للأستاذ محمد عبده وترى في دعوته نوع من الخروج عن المألوف والموروث، (عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، 1997 م، صفحة 298 299) .

هذه الدعوة التي دعا إليها محمد عبده لا يعني أنه رفض كل التراث العربي الإسلامي وإنما حاول إدخال العلوم الجديدة والمناهج الجديدة على الأزهر من أجل الوصول إلى قراءة جديدة للتراث، لأن الأزهر كان المركز المنتج للنخب التي تؤمن بهذه

العقلية الفكرية، نظرا لأهميته ومكانته في نفوس المسلمين، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الأستاذ محمد عبده درس في الأزهر ودَرَّس فيه وتأكد من عدم قدرة تلك العلوم والمناهج على إيصال العالم العربي الإسلامي إلى قافلة الركب الحضاري لذلك وجب إدخال هذه الصبغة الجديدة .

لقد انتقد محمد عبده صفة التقليد الأعمى الذي كان السمة الغالبة في الجانب الثقافي، لذلك دعا إلى ضرورة التجديد في الدين، ومن أجل الوصول إلى هذا المبتغى دعا إلى تطهير الإسلام من البدع والضلالات، والعودة إلى نقائه الأول، كما هاجم التقليد والمقلدين ودعا إلى حرية الفكر التي بدورها توصلنا إلى نقاوة الدين، كما دعا إلى ضرورة إعادة النظر في عرض المذاهب الإسلامية على ضوء الفكر الحديث، والتوفيق مابين العلم والدين، والدفاع عن الإسلام من التأثيرات الغربية وضد حمالات المبشرين، (الحافظة، 1978 م ، الصفحات 81 - 84) .

سار الشيخ محمد رشيد رضا، في نفس نهج جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده الذي تأثر به حيث ركز محمد رشيد رضا من خلال كتبه ومقالاته في جريدة المنار على ذم التقليد مؤكداً بأن الله عز وجل ذمه ووبخ أهله في العديد من الآيات منها قوله تعالى{ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ }، (الزخرف و الآية، 22) ، فقد أمر الله عز وجل على المقلدين بأنه يتوجب عليهم اتباع ما هو أهدى ولم يعذرهم بالتقليد، وللتخلص من آفة التقليد الأعمى دعا الشيخ محمد رشيد رضا لفتح باب الاجتهاد لتنقية التراث أو آثار السلف من الشوائب التي أُلصقت به عن قصد أو غير قصد، كما رد على الشبة القائلة بأن فتح باب الاجتهاد واختلاف المذاهب يؤدي إلى الضعف والتخلف، مستشهدا في ذلك بما وصلت إليه أوروبا من تقدم رغم اختلافها في الدين والمذاهب، (رضا، 1324 هـ ، الصفحات 48 - 54).

من أبرز رواد هذا التيار كذلك نجد رفاعه الطهطاوي، الذي عمل على نقل وترجمة المؤلفات الغربية التي تحتاج إليها الأمة العربية الإسلامية في نهضتها، فهو لم يدعو إلى فتح الأبواب على الحضارة الغربية دون شرط أوقيد وإنما بقى محافظا على جوهر الإسلام

ومبادئه الأولى، ورأى ضرورة الاستفادة من منجزات الحضارة الغربية والتوفيق بينهما، داعياً في ذلك مشايخ الأزهر وطلبته للأخذ من العلوم الحديثة، كما حرص على تقديم المفاهيم والقيم الغربية التي ساهمت في تطور ونهضة الغرب كقيم استمدتها الحضارة الغربية من القيم الإسلامية، كون هذه الأخيرة اعتمدت في نهضتها على الحضارة الإسلامية وبتالي دعا صراحة لضرورة المزاوجة بين القيم الإنسانية للفكر العربي الإسلامي ومعطيات الحضارة الغربية الحديثة، (الجندي، 1878 م ، صفحة 55 56).

لقد كان رواد هذا التيار الأكثر تفتحا على الحاضر ومستجداته، والأحسن تعاملا مع الماضي وقيمه، حينما زاوجوا بين ثنائية الماضي والحاضر، وبين الموروث الحضاري الذي ورثته الأمة العربية الإسلامية عن السلف وبين مختف منجزات الحضارة الإنسانية في العصر الحاضر، وهذا ما جعل هذا التيار أكبر إقبالا وقبولا في صفوف عامة الناس، وكان مشروعهم في التعامل مع التراث الأكثر واقعية وتطبيقا على أرض الوقع، وذلك لأنه لم يهمل أي جانب يوسعه خدمة الأمة العربية والإسلامية بتبنيه لكل ما يخدم المجتمع من الجانبين والدعوة إليه .

5. خاتمة:

يعتبر القرن التاسع عشر من أهم الفترات التي عرفها العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث، ذلك للحركية الفكرية التي شهدها والتي قادها مجموعة من كبار العلماء والمفكرين في العصر الحديث، والذين تطرقوا فيه لأهم المواضيع التي واجهت الأمة في تلك الفترة، والتي أبانت عن اتساع الفجوة بين التطور الحاصل في أوروبا وبين التخلف الذي طرأ على الأمة، كان من بين هذه المواضيع التي تطرقوا إليها موضوع كيفية التعامل مع تراث السلف، ومن خلال تطرقنا لهذا البحث توصلنا إلى الاستنتاجات التالية :

– إن تعدد مواقف هؤلاء وتباينهم حول مسألة التراث كان نتاج منطلقات وإيديولوجيات كل واحد منهم، فنجد التيار المحافظ دعا إلى التشبث التام بما خلفه لنا السلف هذا لأن نخبه قد تعلمت في المدارس والمراكز العلمية التقليدية التي كانت تُدرس مختلف علوم ومناهج الفترة الوسيطة وتشجع عليها، فكان من الطبيعي أن تتخرج من هذه

المراكز نخب تؤمن بضرورة التقوقع حول التراث، أما التيار التغريبي الذي درست نخبه ودعاته في المدارس الأوروبية ووفق منهاجها أثناء تواجدهم في أوروبا، فانه كان من الطبيعي أن يعود هؤلاء ويحاولوا نقل هذا النموذج الغربي إلى بلدانهم الأصلية زد على ذلك النخب المسيحية التي وجدت في هذا الجدل القائم فرصة للانسلاخ عن التراث العربي الإسلامي الذي قيد ارتمائها في أحضان الحضارة الغربية من قبل، أما التيار التوفيقي الازدواجي فقد انطلق من منطلق التمسك بالتراث الصحيح الذي ساهم في تطور الأمة مع التفتح على منجزات الحضارة الأوروبية التي تعود بالنفع على الأمة.

– أن دعاة كل تيار من هذه التيارات استخدم كل الوسائل الممكنة لنشر فكره و وإيديولوجيته في كيفية التعامل مع التراث، من إنشاء للمعاهد والمدارس وإنشاء للصحف والمجلات والكتب، وغير ذلك من النشاطات التي تدعوا لوجهة نظره وتروج لها .

– أن موقف التعامل مع التراث هي من بين المسائل المهمة في حياة الأمة العربية والإسلامية، وان استطاعت النخبة إقناع غالبية أفراد الأمة على مستوى الأفكار بالمزاوجة مابين صحيح التراث والتفتح على ما يعود للأمة بالخير إلا أننا واقعا وممارسةً مازلنا نتخبط بين الأمرين، ونحن ملزمون اليوم بضرورة اتخاذ مواقف وسط عمليا من أجل الحفاظ على الذات الفكرية من جهة ةمن جهة أخرى الاستفادة من كل المنجزات الحضارية التي تنتجها الأمم الأخرى .

5. قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

ا – المصادر

1 – الأفغاني جمال الدين وعبده محمد، 2012 م، العروة الوثقى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة جمهورية مصر العربية .

2 – الكواكبي عبد الرحمان، 1931 هـ/ 1350 م، أم القرى، المطبعة المصرية، مصر .

3 – عبده محمد، 2012 م، الإسلام بين العلم والمدنية، مؤسسة هنداوي للعلم والثقافة، القاهرة .

4 - رضا محمد رشيد، 1324هـ، محاورات المصلح والمقلد، مطبعة مجلة المنار الإسلامية، مصر .

ب- المراجع

1 - الجابري محمد عابد، 1990 م، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان .

2 - جدعان فهمي، 1988 م، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن .

3 - الجندي أنور، 1398 هـ / 1978 م، اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار منذ ظهورها إلى أوائل الحرب العالمية الأولى، ، دار الاعتصام، القاهرة .

4 - دياب عبد المجيد، 1993م، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، القاهرة .

5 - الحافظة علي، 1978 م، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة 1798 م - 1914 م الاتجاهات الدينية والسياسية والاجتماعية والعلمية، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت .

6 - معاليقي منذر، د.ت، معالم الفكر العربي في عصر النهضة العربية، دار إقرأ، لبنان .

7 - عمارة محمد،1997 م / 1418 هـ، تيارات الفكر الإسلامي، دار الشروق، مصر.

8 - عمارة محمد، د.ت، أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، دار الشرق الأوسط للنشر، القاهرة .

9 – شرابي هشام، 1981 م، المثقفون العرب والغرب، دار النهار للنشر، بيروت .

10 – التوبة غازي، 1423 هـ/ 2002 م، إشكالية النهضة من الفكر القومي العربي والصحوة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، لبنان .